تفسير سورة السجدة

وهي مكية

روى البخاري عن أبي هريرة ،رضي الله عنه ، قال:كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة : ﴿ الٓمٓ . تَنزِيل ﴾ السجدة و ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإنسان ﴾. ورواه مسلم (١) . وروى الإمام أحمد عن جابر قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ ﴿ الٓمٓ . تَنزِيل ﴾ السجدة ، و ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ تفرد به أحمد (٢) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة «البقرة» بما أغنى عن إعادته. وقوله: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ اى: لا شك فيه ولا مرية أنه منزل ﴿ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .ثم قال مخبراً عن المشركين : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ بل يقولون ﴿ افْتَرَاهُ ﴾ أي:اختلقه من تلقاء نفسه،﴿ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ اى: يتبعون الحق .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦ ﴾

يخبر تعالى أنه الخالق للأشياء ، فخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، وقد تقدم الكلام على ذلك ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ اى : بل هو المالك لازمة الامور ، الخالق لكل شيء ، المدبر لكل شيء ، القادر على كل شيء ، فلا ولي لخلقه سواه ، ولا شفيع إلا من بعد إذنه﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ يعني : أيها العابدون غيره ، المتوكلون على من عداه ـ تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو نديد ،أو وزير أو عديل ، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله :﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ اى: يتنزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الارض السابعة ، كما قال الله تعالى :﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق:١٢] .وترفع الاعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا ،ومسافة ما بينها وبين الارض مسيرة خمسمائة سنة ، وسمك السماء خمسمائة سنة . وقال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك : النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام ، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام،ولكنه يقطعها في طرفة عين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾.

---

(١) البخاري (٨٩١) ومسلم (٨٨٠ / ٦٥).

(٢) المسند (٣ / ٣٤٠) والحديث رواه الترمذي (٢٨٩٢) وصححه الألباني في صحيح الترمذي والسلسلة الصحيحة (٥٨٥).

﴿ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ اى : المدبر لهذه الأمور الذى هو شهيد على أعمال عباده ، يرفع إليه جليلها وحقيرها، وصغيرها وكبيرها هو ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ الذى قد عزّ كل شىء فقهره وغلبه ، ودانت له العباد والرقاب ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ بعباده المؤمنين .فهو عزيز فى رحمته ،رحيم فى عزته ، وهذا هو الكمال: العزة مع الرحمة ، والرحمة مع العزة ، فهو رحيم بلا ذل .

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى مخبراً انه الذى أحسن خلق الأشياء وأتقنها واحكمها . وقال مالك، عن زيد بن اسلم : ﴿ الذي أحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَه ﴾ قال : أحسن خلق كل شىء كأنه جعله من المقدم والمؤخر .

ثم لما ذكر خلق السموات والأرض، شرع فى ذكر خلق الإنسان فقال: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسانِ مِن طِينٍ ﴾، يعنى: خلق ابا البشر آدم من طين﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾اى : يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ﴿ ثُمَّ سَوَّاه ﴾ يعنى: آدم، لما خلقه من تراب خلقه سويا مستقيما ﴿ ونَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِه وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأبْصَارَ والأفْئِدَةَ ﴾ يعنى :العقول ﴿ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُون ﴾ اى : بهذه القوى التى رزقكموها الله عز وجل. فالسعيد من استعملها فى طاعة ربه عز وجل.

ربع ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۝ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين فى استبعادهم المعاد حيث قالوا: ﴿ أإذَا ضَلَلْنَا فِي الأرْضِ ﴾ أى : تمزقت أجسامنا وتفرقت فى أجزاء الأرض وذهبت، ﴿ أإنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ اى :أئنا لَنَعُودُ بعد تلك الحال؟! يستبعدون ذلك ،وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قُدرتهم العاجزة ،لا بالنسبة إلى قُدرة الذى بداهم وخلقهم من العدم ،الذى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون؛ ولهذا قال: ﴿بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُون ﴾ .

ثم قال: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُم ﴾ : الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة، وقد سمى فى بعض الآثار بعزرائيل، وهو المشهور ، قاله قتادة وغير واحد ، وله أعوان. وهكذا ورد فى الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد ، حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت. قال مجاهد: حُويت له الأرض فجعلت له مثل الطست، يتناول منها حيث يشاء . وقال كعب الأحبار: والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت يقوم على بابه كل يوم سبع مرات . ينظر هل فيه أحد امر أن يتوفاه .

وقوله : ﴿ ثُمَّ إلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُون ﴾ اى : يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ

﴿ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة ، وحالهم حين عاينوا البعث ، وقاموا بين يدى الله حقيرين ذليلين ، ناكسى رؤوسهم ، أى :من الحياء والخجل ، يقولون : ﴿ ربنا أبصرنا وسمعنا ﴾ أى: نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك ، كما قال تعالى: ﴿ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ﴾ [مريم : ٣٨] . وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم: ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ [الملك: ١٠] . وهكذا هؤلاء يقولون: ﴿ ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا ﴾أى : إلى الدار الدنيا ﴿ نعمل صالحا إنا موقنون ﴾ أى : قد أيقنا وتحققنا أن وعدك حق ولقاءك حق،وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى الدار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفاراً يكذبون آيات الله ويخالفون رسله ، كما قال : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون . وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴾[الانعام :٢٧ ـ ٢٩]. وقال ههنا : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ﴾ [يونس : ٩٩] . ﴿ ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ أى: من الصنفين ، فدارهم النار لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها ، نعوذ بالله وكلماته التامة من ذلك. ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أى: يقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ: ذوقوا العذاب بسبب تكذيبكم به ، واستبعادكم وقوعه، وتناسيكم له؛إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له،﴿ إنا نسيناكم ﴾ أى : سنعاملكم معاملة الناسى؛ لأنه تعالى لا ينسى شيئا ولا يضل عنه شىء ، بل من باب المقابلة ، كما قال تعالى: ﴿ اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ [الجاثية:٣٤] .

وقوله: ﴿وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴾ أى : بسبب كفركم وتكذيبكم ، كما قال فى الآية الاخرى : ﴿ لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا. إلا حميما وغساقا . جزاء وفاقا . إنهم كانوا لا يرجون حسابا. وكذبوا بآياتنا كذابا . وكل شيء أحصيناه كتابا . فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ﴾ [النبأ:٢٤ ـ ٣٠] .

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ سجدة

يقول تعالى : ﴿ إنما يؤمن بآياتنا ﴾ أى: إنما يصدق بها ﴿ الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا ﴾ أى: استمعوا لها واطاعوها قولا وفعلا ،﴿وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ﴾ أى : عن اتباعها والانقياد لها ، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة ،قال الله تعالى: ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [غافر: ٦٠] .

ثم قال تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ يعنى بذلك : قيام الليل، وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة. قال مجاهد والحسن فى قوله تعالى:﴿تتجافى جنوبهم ﴾ يعنى بذلك : قيام الليل . وعن أنس ، وعكرمة ، ومحمد بن المنكدر ، وأبى حازم ، وقتادة : هو الصلاة بين العشاءين . وعن

أنس أيضاً :هو انتظار صلاة العتمة . رواه ابن جرير بإسناد جيد . وقال الضحاك : هو صلاة العشاء فى جماعة ،وصلاة الغداة فى جماعة. ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾أى : خوفاً من وبال عقابه ، وطمعاً فى جزيل ثوابه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ، ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم فى الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ ، كما قال عبد الله بن رَوَاحة رضى الله عنه:

وفينا رسولُ الله يتلُو كتابَه ... إذا انشقّ معروفٌ منَ الصُّبح ساطعُ

أرانا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فقُلوبُنا ... به مُوقناتٌ أنَّ مـــا قال واقـع

يبيتُ يُجافى جنبَهُ عَنْ فراشه ... إذا استثقلَتْ بالمُشركين المضاجعُ

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود ، عن النبى ﷺ قال: « عجب ربنا من رجلين : رجل ثار من وطائه ولحافه ، ومن بين أهله وحبه(١) إلى صلاته ، [فيقول ربنا : أيا ملائكتى ، انظروا إلى عبدى، ثار من فراشه ووطائه ، ومن بين حبه وأهله إلى صلاته](٢) رغبة فيما عندى، وشفقة مما عندى . ورجل غزا فى سبيل الله ،عز وجل ،فانهزموا، فعلم ما عليه من الفرار، وما له فى الرجوع ، فرجع حتى أهريق دمه، رغبة فيما عندى وشفقة مما عندى. فيقول الله ، عز وجل للملائكة : انظروا إلى عبدى رجع رغبة فيما عندى ، ورهبة مما عنـدى ، حتى أهريق دمه » . وهكذا رواه أبو داود عن حماد بن سلمة ، به بنحوه(٣) . وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبى ﷺ فى سفر ، فأصبحت يوما قريبا منه ، ونحن نسير ، فقلت: يا نبى الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار . قال: « لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة،وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان، وتحج البيت » . ثم قال: « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ».ثم قرأ: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ . ثم قال : « ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟» فقلت: بلى ، يا رسول الله . فقال: « رأس الأمر الإسلام ، وعمـوده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله» . ثم قال: « ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ » فقـلت: بلى ، يا نبى الله . فأخذ بلسانه ثم قال: « كُفَّ عليك هذا » فقلت:يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟. فقال: « ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم ـ أو قال : على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم » . رواه الترمذى وابن ماجه . وقال الترمذى: حسن صحيح(٤) .

وقوله تعالى :﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾أى: فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم فى الجنات من النعيم المقيم، واللذات التى لم يطلع على مثلها أحد ، لَمّا أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاء وفاقا ؛ فإن الجزاء من جنس العمل . قال الحسن البصرى : أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخـطر على قلب بشر. قوله:

(١) فى المطبوعة: «وحبه» بالباء الموحدة، وغير منقوطة بالمخطوطة والثبت من المـسند.
(٢) ما بين المعقوفتين ليس فى المخطوطة، وأثبتناه من المسند والمطبوعة.
(٣) المسند (٣٩٤٩) وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح» ، وأبو داود (٥٢٣٦).
(٤) المسند (٥ / ٢٣١) والترمذى (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) وصححه الألبانى.

﴿فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم مِن قُرَّةِ أعيُنٍ﴾ الآية ، روى البخارى عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال: « قال الله تعالى : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » . قال أبو هريرة : فاقرؤوا إن شئتم : ﴿ فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم مِن قُرَّةِ أعيُنٍ ﴾ . ورواه مسلم والترمذى . وقال الترمذى : حسن صحيح [١] . ثم روى البخارى عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ :« يقول الله تعالى:أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ذُخرًا من بَله ما أطلعتم عليه»، ثم قرأ: ﴿ فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم مِن قُرَّةِ أعيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ . قرأ أبو هريرة : « قُرَّات أعيُنٍ » . انفرد به البخارى من هذا الوجه [٢].

وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » . أخرجاه فى الصحيحين . قال: ورواه الترمذى بمثله . ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح [٣]. وعن أبى هريرة ، قال حماد: أحسبه عن النبى ﷺ قال: « من يدخل الجنة ينعم لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ،ولا يفنى شبابه ، فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت،ولا خطر على قلب بشر ». رواه مسلم [٤]. وروى الإمام أحمد عن سهل بن سعد الساعدى ، قال : شهدت من رسول الله ﷺ مجلسا وصف فيه الجنة ،حتى انتهى، ثم قال فى آخر حديثه : « فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر »، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ تتجافى جنوبُهُمْ عنِ المضاجعِ ﴾ إلى قوله: ﴿ يعملون ﴾ . وأخرجه مسلم [٥]. وروى مسلم عن المغيرة بن شعبة ـ يرفعه إلى النبى ﷺ ـ قال : « سأل موسى، عليه السلام ربه عز وجل : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: هو رجل يجىء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة. فيقول : أى رب ، كيف وقد نزل الناس منازلهم ،وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له: أترضى ان يكون لك مثل مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا ؟ فيقول:رضيت رب. فيقول:لك ذلك،ومثله ، ومثله، ومثله، ومثله، فقال فى الخامسة : رضيت رب . فيقول :هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولَذّت عينك فيقول: رضيت رب . قال: رب ،فأعلاهم منزلة ؟ قال: أولئك الذين أردتُ ، غَرَسْتُ كرامتهم بيدى، وختمت عليها، فَلَمْ تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر » ، قال: ومصداقه من كتاب الله: ﴿ فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم مِن قُرَّةِ أعيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ . ورواه الترمذى ، وقال: حسن صحيح، قال: ورواه بعضهم ولم يرفعه ،والمرفوع أصح [٦] .

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ

(١) البخارى (٤٧٧٩) ومسلم (٢٨٢٤ / ٢) والترمذى (٣١٩٧).
(٢) البخارى (٤٧٨٠). و«من بَله»: بَله هنا بمعنى كيف، والمعنى: من أين اطلاعكم على هذا القدر الذى تقصر عقول البشر عن الإحاطة به.
(٣) المسند (٢ / ٣١٣) والبخارى (٨٤٩٨) ومسلم (٢٨٢٤ / ٤) والترمذى (٣٢٩٢).
(٤) مسلم (٢٨٣٦ / ٢١).
(٥) المسند (٥ / ٣٣٤) ومسلم (٢٨٢٥ / ٥).
(٦) مسلم (١٨٩ / ٢٩٣) والترمذى (٣١٩٨).

﴿ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

يخبر تعالى عن عدله أنه لا يساوى فى حُكمه يوم القيامة من كان مُؤمناً بآياته متبعاً لرسله ، بمن كان فاسقا ،أى :خارجا عن طاعة ربه مكذبا لرُسُله إليه ،كما قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية :٢١] ،وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص :٢٨] ، وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [الحشر :٢٠] ؛ ولهذا قال تعالى ههنا :﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ أى : عند الله يوم القيامة . وقد ذكر عطاء بن يسار والسُّدِّى وغيرهما : أنها نزلت فى على بن أبى طالب، وعقبة بن أبى مُعَيط ؛ ولهذا فَصَّل حكمهم فقال: ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أى: صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها ، وهى الصالحات ﴿ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى ﴾ أى : التى فيها المساكن والدور والغرف العالية ﴿ نُزُلًا ﴾ أى: ضيافة وكرامة ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾أى: خرجوا عن الطاعة ﴿ فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ كقوله : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ الآيــة [الحج : ٢٢] . قال الفضيل ابن عياض : والله إن الأيدى لموثقة ، وإن الأرجل لمقيدة ، وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم . ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أى: يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا .

وقوله :﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ قال ابن عباس : يعنى بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها ، وما يحل بأهلها مما يبتلى الله به عباده ليتوبوا إليه . وروى مثله عن أبى بن كعب ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة . وقال ابن عباس ـ فى رواية عنه ـ : يعنى به إقامة الحدود عليهم .وقال البراء بن عازب ، ومجاهد ، وأبو عبيدة : يعنى به عذاب القبر .

وروى عبد الله بن الإمام أحمد عن أبى بن كعب فى هذه الآية : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ قال: المصيبات والدخان قد مضيا ، والبطشة واللزام . ورواه مسلم موقوفا نحوه (١) وعند البخارى عن ابن مسعود ، نحوه (٢) . وقال عبد الله بن مسعود أيضا، فى رواية عنه : العذاب الأدنى : ما أصابهم من القتل والسبى يوم بدر . وكذا قال مالك ، عن زيد بن أسلم . قال السُّدِّى وغيره : لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير ، فأصيبوا أو غَرموا ، ومنهم من جمع له الأمران .

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ أى : لا أظلم ممن ذكَّره الله بآياته وبينها له ووضحها ،ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها ،كأنه لا يعرفها . قال قتادة : إياكم والإعراض عن ذكر الله ، فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرّة ، وأعوز أشد العَوَز ، وعظم من أعظم الذنوب . ولهذا قال تعالى متهدداً لمن فعل ذلك : ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ أى : سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام .

---

(١) المسند (٥ / ١٢٨) ومسلم (٢٧٩٩ / ٤٢).

(٢) البخارى (٤٨٢٠).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله موسى ، عليه السلام ، أنه آتاه الكتاب وهو التوراة .

وقوله تعالى : ﴿ فلا تكُن في مرية من لقائه ﴾ قال قتادة : يعني به ليلة الإسراء . ثم روى عن أبي العالية الرياحي قال: حدثني ابن عم نبيكم ـ يعني ابن عباس ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « أريت ليلة أسري بي موسى بن عمران ،رجلا آدم طوالا جعْداً ، كأنه من رجال شنُوءة . ورأيت عيسى رجلا مربوع الخلق ،إلى الحمرة والبياض ، مبسط الرأس ، ورأيت مالكا خازن النار والدجال ، في آيات أراهن الله إياه » ﴿ فلا تكُن في مرية من لقائه ﴾ : أنه قد رأى موسى ، ولقي موسى ليلة أسري به (١) . وروى الطبري عن ابن عباس،عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وجعلناهُ هدًى لبني إسرائيل﴾ قال: جُعل موسى هُدى لبني إسرائيل ، وفي قوله: ﴿ فلا تكُن في مرية من لقائه ﴾ قال: من لقاء موسى ربه عز وجل (٢) .

وقوله :﴿ وجعلناه ﴾ أي: الكتاب الذي آتيناه ﴿ هدًى لبني إسرائيل ﴾ كما قال تعالى في سورة الإسراء : ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناهُ هدًى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ [الإسراء :٢].

وقوله: ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ أي: لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيه وزواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به ، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله ، ويدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر . ثم لما بدلوا وحرّفوا وأوّلوا ، سلبوا ذلك المقام ، وصارت قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، فلا عمل صالحاً، ولا اعتقاداً صحيحاً ؛ ولهذا قال: ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾ قال قتادة وسفيان: لما صبروا عن الدنيا ، وكذلك قال الحسن بن صالح . قال سفيان : هكذا كان هؤلاء ، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماماً يُقتدى به حتى يتحامى عن الدنيا . قال وكيع : قال سفيان: لا بد للدين من العلم ، كما لا بد للجسد من الخبز . وقال ابن بنت الشافعي : قرأ أبي على عمي ـ أو عمي على أبي ـ سئل سفيان عن قول علي: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ،ألم تسمع قوله: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ قال : لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوساً . قال بعض العلماء: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .

ولهذا قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين . وآتيناهم بينات من الأمر ﴾ الآية [الجاثية:١٦ ، ١٧]، كما قال هنا : ﴿ إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ أي : من الاعتقادات والأعمال .

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ

(١) مضى تخريجه عند تفسير الآية الاولى من سورة الإسراء.
(٢) الطبراني في المعجم الكبير (١٢ / ١٦٠) (١٢٧٥٨) وقال الهيثمي في الزوائد (٧ / ٩٣): «رجاله رجال الصحيح».

﴿ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

يقول تعالى: أو لم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية ، بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياهم فيما جاؤوهم به من قويم السبل ، فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر ﴿هل تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم :٩٨] ؛ولهذا قال: ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾أى: وهؤلاء المكذبون يمشون فى مساكن أولئك المكذبين فلا يرون فيها أحداً ممن كان يسكنها ويعمرها، ذهبوا منها ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ [الاعراف: ٩٢]، كما قال: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾[النمل: ٥٢]، وقال: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ . أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٥، ٤٦]؛ ولهذا قال ههنا : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ اى: إن فى ذهاب أولئك القوم ودمارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ، ونجاة من آمن بهم ، لآيات وعبراً ومواعظ ودلائل متظاهرة ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ أى: أخبار من تقدم ، كيف كان أمرهم ؟

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾ يبين تعالى لطفه بخلقه ،وإحسانه إليهم فى إرساله الماء إما من السماء أو من السيح ، وهو : ما تحمله الأنهار ويتحدر من الجبال إلى الأراضى المحتاجة إليه فى أوقاته ؛ ولهذا قال : ﴿ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾ ، وهى التى لانبات فيها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف : ٨] ، اى : يبساً لا تنبت شيئاً .

وليس المراد من قوله : ﴿ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾ أرض مصر فقط ، بل هى بعض المقصود، وإن مثل بها كثير من المفسرين فليست المقصودة وحدها ،ولكنها مرادة قطعاً من هذه الآية، فإنها فى نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطراً لتهدمت أبنيتها ، فيسوق الله إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة ، وفيه طين أحمر ، فيغشى أرض مصر،وهى أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء ، وذلك الطين أيضاً لينبت الزرع فيه ، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور فى غير بلادهم ، وطين جديد من غير أرضهم ، فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود أبدًا .

ولهذا قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ ،كما قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢]؛ ولهذا قال ههنا :﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾. وقال ابن عباس فى قوله: ﴿ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾قال: هى التى لا تُمطر إلا مطرا لا يغنى عنها شيئا، إلا ما يأتيها من السيول. وعن ابن عباس ، ومجاهد : هى أرض اليمن . وقال الحسن : هى قرى فيما بين اليمن والشام . وقال عكرمة،والضحاك، وقتادة، والسُّدّى، وابن زيد : الأرض الجرز :التى لا نبات فيها وهى مغبرة .

قلت: وهذا كقوله: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ . وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ . لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس:٣٣ ـ ٣٥] .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا

﴿ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن استعجال الكفار ووقوع بأس الله بهم ،وحلول غضبه ونقمته عليهم ، استبعاداً وتكذيباً وعناداً : ﴿ويقولون متى هذا الفتح ﴾ أى: متى تنصر علينا يا محمد ؟ كما تزعم أن لك وقتاً تدال علينا،ويتقدم لك منا، فمتى يكون هذا؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين ! قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ﴾ أى : إذا حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه فى الدنيا وفى الآخرة ﴿ لا ينفعُ الذين كفروا إيمانُهم ولا هم يُنظرون ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٣ ـ ٨٥]،ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتحُ مكة فقد أبعد النجعة ،وأخطأ فأفحش،فإن يوم الفتح قد قَبِل رسولُ الله ﷺ إسلام الطلقاء ،وقد كانوا قريباً من ألفين ،ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم؛لقوله: ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا ينفعُ الذين كفروا إيمانُهم ولا هم يُنظرون﴾،وإنما المراد الفتح الذى هو القضاء والفصل، كقوله تعالى: ﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٨]،وكقوله: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ :٢٦] ، وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم:١٥]،وقال: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة: ٨٩]،وقال: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال:١٩] .

ثم قال : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾أى: أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك، كقوله: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:١٠٦]،وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك ، وسينصرك على من خالفك ، إنه لا يخلف الميعاد.

وقوله: ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾أى: أنت منتظر،وهم منتظرون، ويتربصون بكم الدوائر﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ [الطور: ٣٠]، وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله،فى نصرتك وتأييدك ، وسيجدون غب ما ينتظرونه فيك وفى أصحابك ، من وبيل عقاب الله لهم ، وحلول عذابه بهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل .